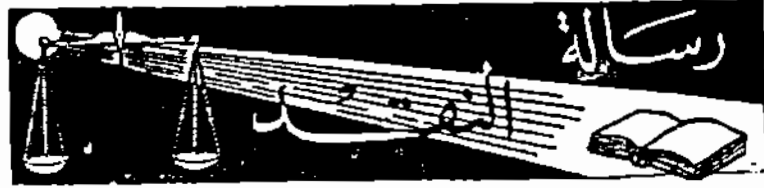


طلنت أول الأمر أن الفلسفة الأولى هي فلسفة اليونان التي اشتغل بها العرب في إبان بهزتهم في الترجمة . فقد اكبروا على فلسفة اليونان ونقلوها إلى اللسان العربي الذي كانت الفلسفة شيئاً جديداً عليه . ولكن الدكتور الأهواني يقول في مقدمته التحليلية النفيسة للرسالة إن اصطلاح « ما دون الطيبيات » هو نفسه « الفلسفة الأولى » ص ٥٥ ؛ وقد يكون ذلك مقبولا لو أن عنوان رسالة الكندي هو « كتاب الفلسفة الأولى أو ما دون الطيبيات » ، ولكن العنوان هو كما يذكر الدكتور الأهواني « كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطيبيات والتوحيد » ، ويستنبط المحقق من هذا النص أن ما دون الطيبيات غير التوحيد ، ولكنه ينسب ما يقوله الكندي في أحد مواضع الرسالة أن الفلسفة هي علم الربوبية والوحدانية — أو التوحيد — وينسب ما يقوله الكندي في موطن آخر : (إن علم الملة الأولى سمي بحق الفلسفة الأولى) .

ورسالة الكندي في الفلسفة الأولى لا تزيد على نصف الكتاب الطبوع اليوم إلا قليلا . أما النصف الأول فهو تحقيق علمي دقيق في ترجمة الكندي ونشأته ومنزله في تاريخ الفلسفة الإسلامية وأسلوبه في الكتابة الفلسفية وتحليل الرسالة ذاتها ، وقد أضاف هذا التحقيق كثيراً من القيمة لهذه الرسالة التي كان للدكتور الأهواني فضل نشرها في لغة العرب لأول مرة ، وهو فضل نسجله دائماً مع الشكر لكل من يزيح ستراً عن أثر من آثار المسلمين إبان بهزتهم في زماننا هذا الذي ندعونا فيه دواع كثيرة إلى كشف الغطاء عن كل أثر إسلامي صغر أو كبير .

وإذا كنا أخذنا في عدد ماض من مجلة « الرسالة » على الأستاذ فؤاد جيمان عدم استيفاء التحقيق والتحليل لكتاب « ميزان الحكمة » الذي ألفه الحكيم الرازي ، فإن الدكتور الأهواني كان في الحق بعيداً عن موضع المؤاخذة حين أخرج رسالة الكندي في الفلسفة الأولى هذا المخرج الذي يجري على أسلم قواعد نشر المخطوطات . وإذا كان لم يقع صدقنا الأهواني من مخطوط الكندي إلا نسخة خطية واحدة فانه في الحق قد عفى نفسه في التحقيق والمراجعة على الرغم مما طناه من رداءة الخط وكثرة التصحيف وعدم الإجماع في النسخ .



كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى^(١)

مقدمه وفهرس من الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

لم تمض إلا أربعة أشهر أو خمسة على كتاب « معاني الفلسفة » الذي ألفه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني حتى أتت جناح الفلسفة في المكتبة العربية بكتاب من كتب فيلسوف العرب يعقوب الكندي ، وهو الكتاب الذي بحث به أول فيلسوف من فلاسفة العرب إلى الخليفة العباسي .

ولم يكن غريباً على فلاسفة المسلمين أن يبعثوا بكتبهم إلى الخلفاء ، ولم يكن جديداً على « الكندي » نفسه أن يرسل الخلفاء في مسألة من مسائل العلم ، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في « سابقاته » أن للكندي رسالة إلى المأمون « في الملة والمملوك » . وتحمل مراسلات الفلاسفة للخلفاء والأمراء معنى تشجيع هؤلاء لأولئك ، وهي في ذاتها دلالة من الواقع والتاريخ على ما كان يقوم به الخلفاء من احتضان العلماء وتقريبهم ومعاونتهم على أداء الرسالة الجليلة التي نصبوا أنفسهم لها ، وأضنوا أنفسهم في سبيلها .

وعنوان الرسالة نفسه « في الفلسفة الأولى » يحمل سؤالاً يرد على الخاطر لأول وهلة : هل هناك فلسفة أولى تقابلها فلسفة ثانية وثالثة ورابعة ؟ وهل هناك فلسفة أولى تقابلها على سبيل الطباق البلاغي فلسفة أخرى ؟ كما يقال في الشهور القمرية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ؟ وكما يقال في صفات الله : هو الأول والآخرة ؟ ؟

(١) نشر دار إحياء الكتب العربية لمبى الباب الحلبى — ١٤٨
منقطع من القطع المنبر .

أشرت إلى ذلك في مجلة « الكتاب » عدد فبراير سنة ١٩٤٦ ص ٦١٦ ، واسأل الدكتور الأهواني رأى أن هذه الحقيقة في إسلامية الكندي وعربيته لا تحتاج إلى مزيد من التحقيق أو التقرير . والكندي لم يُنهم بالانساب إلى يونان كما يقول الدكتور الأهواني في صفحة ٢٣ . والظاهر أن المسألة اختلطت على الدكتور وهو ينقلها عن « السمودي » في كتابه « سروج الذهب » فلم يقل الكندي إنه يوناني ، ولكنه كان يذهب مذهب القائلين في الأنساب أن يونان أخ لقحطان . وشتان بين هذا وذاك . أما الشاعر الذي هجا الكندي لهذا الخلط في الأنساب فهو أبو العباس الناشي . من طبقة ابن الرومي في الإجازة وما كان يستحق من الناشر هذا التنكير بقوله عنه « أحد الشعراء » ...

وصحة البيت الأخير من أبيات « الناشي » كما يلي :
وتحاط يونانا بقحطان صلة لعمرى لقد باعدت بينهما جداً
ويظهر أن الكندي مبتلى باضطراب الناس في حياته وفي آثاره وفي قيمته الفلسفية ؛ فالدكتور مذكور يقول عنه إنه كان ممهداً للفلسفة الإسلامية ولم يكن فيلسوفاً . والدكتور أبو ريدة يقول عنه إنه كان فيلسوفاً بالمعنى الواسع الذي يتمثل في فلسفة اليونان . والرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول إن ما بأيدينا من آثاره لا يمكن من استخلاص مذهب الفيلسوف نسقاً كاملاً . وأغرب ما في هذا الاضطراب أن شهرة الكندي كانت موضعاً للخلاف عند الناس . حتى أن الدكتور الأهواني يقرر في ص ٣٦ أنه كان عديم الشهرة ، وأن رداة أسلوبه كانت علة في عدم شهرته . وأين هذا من قول الناشر نفسه في صفحة ٣٨ بأن الكندي اشتهر بالفلسفة ، وكأنه بهذا يناقض نفسه ... وأين هذا من قول القفطي عنه : (إنه المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة الخ) .

بقيت كلمة واحدة في مقدمة الدكتور الأهواني لرسالة الكندي في الفلسفة الأولى ، فقد بلغت من وضوح المقاصد وسلامة المنهج وسهولة التعبير مبلغاً نهى الأستاذ عليه ، وخاصة إذا قيمت بالرسالة نفسها وما فيها من غموض في بعض المواطن . وكأن الدكتور الأهواني يعني أن يقول بهذا الوضوح المقصود أن الغموض التعبيرى ليس دائماً من أدوات الفلسفة ولان لوازمها .
محمد هبيل الفنى حسن

ولا أقول إن تخمين الرسالة الكندية المتضمنة قد أوفى على الغاية ، وخاصة حينما لا يكون بين يدى الناشر إلا مخطوط واحد يجتهد في تخرج الغامض من نصوصه على ما يقتضيه السياق حينما أو على ما يوحى به الحدس أحياناً ... مما يحمل الناشر على أن يقول هذه العبارة التقليدية ... : (في الأصل كذا ولعلها كذا) ولعل ما يقع من اضطراب أو غموض في أسلوب الكندي محدود في بعض الأمر إلى ما عند الناسخين من تحليط وتصحيف . والدكتور الأهواني يمتدح مى بآب الكندي الذى تقع له العبارات البليغة في بعض رسائله ويحدث له التعبير المشرق « في رسالة في الحيلة لدفع الأحران » لا يقع له الغموض في بعض ما كتب إلا حين يحمله التفلسف على التوسع .

وأخشى أن يكون الكندي مظلوماً في الذى قيل من رداة أسلوبه . فهل كان هو ينقل الرسائل عن اليونانية بنفسه أم كانت تنقل له ؟ فإذا كانت تنقل له فليس الذنب في الأسلوب ذنبه ، ولكنه ذنب الناقل ... ألم يختلف مؤرخو الحكمة الإسلامية في كتب الكندي اختلافاً يدعو إلى العجب ... فابن النديم يقول عن كتاب جغرافية بطليموس إنه نقل للكندى نقلاً رديئاً ... ويقول القفطي إن هذا الكتاب (نقله الكندي إلى العربية نقلاً جيداً) . فأنت تقف أمام هذا التناقض موقفاً لا تدرى وجه الحق فيه .

ويذكر ابن النديم أيضاً أن كتاب « الإلهيات » لأرسطو نقله أسطى الترجم للكندى الفيلسوف . فتريدنا شكاً في رسائل الكندي وصحة نقله إياها من اللسان اليونانى ... على أن سديتنا الدكتور الأهواني لا يزال بأمثال هذه الشكوك ويعصى في رسائل الكندي كأن الطريق إليها مأمون العثرات ...

ويظن بعض الناس عمداً أو خطأ أن الكندي مسيحي مرياني . وقد وقع في هذا الوهم الفيكتور فيليب طرازى في كتابه القيم « عصر السريان الذهبي » . ومن عجب أن هذا الكتاب طبع سنة ١٩٤٦ ، وطبع قبله كتاب للرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق وفيه نفي لسيحية الكندي وتحقيق لهذه المسألة تحقيقاً لا يدع مجالاً للشك فيها . وأظن أن الكونت طرازى قد وقع له كتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق لأنه يفتخر بمكتبته الماسرة في بيروت فما معنى الإصرار على الأمر بعد تبين الحق فيه ؟ ؟ وقد